# الكرامة الإنسانية

أين كرامة الإنسان، وهو قد تجرد من كل معاني الإنسانية والعزة والشرف، وأصبح إنسانًا متبلدًا ينصاع وراء كل ما هو ذليل في هذه الحياة، مع أنه إذا فقد كرامته فإنه قد يكون فقد كل شيء في هذه الحياة.. لأن الكرامة هي القيمة الأسمى في المسيرة التي يقطعها الإنسان في سبيل التحقيق والإنجاز، حيث تقع منهما موقع القلب من الجسد، وأحيانًا تكون بمثابة قدمين يسير بهما هذا الجسد في مختلف الاتجاهات، متنقلاً نحو مقاصده وغاياته، فمن الكرامة تولد الحرية والهيبة واحترام الذات، واستحسان التعزيز الإيجابي والثناء، وهي قيم وأحوال نفسية ضرورية لبناء شخصية الآدمي، وتحديد مسيرته ومصيره وترسيخ اختياراته وانحيازاته.

والكرامة ليست كلمة تلوكها الألسن باستمرارٍ من دون إدراك معناها ومغزاها أو العمل من أجل تحصيلها والتمتع بحضورها

ووجودها، بل هي قيمة تتحقق حين تتوافر الشروط التي تؤدي إليها، وينتظم السلوك المترتب عليها ويكتمل الشعور بها لدى الفرد والجماعة، ولا تتحقق الكرامة بمجرد تكرار اللفظ الدال عليها أو المفاهيم المنشقة منها ولا بمجرد الإلحاح على ضرورة الشعور بها، بل تأتي طواعية، مرتبطة بأفعال لا تتحقق من دونها، ثم تنمو داخل النفس الإنسانية، حتى تلتصق بها وتتوحد معها إلى الدرجة التي يعتقد فيها الإنسان بأن الكرامة هي التي تحدد ما يقبله وما يرفضه، وما يروق له ويحبه وما يلفظه ويكرهه، كما تحدد نظرة الأفراد له وموقعه في سلم الإنسانية إلى حدٍ يؤمن عنده الشخص بأن الموت أفضل من حياة بلا كرامة.

ويقود الشعور بالكرامة إلى ميلاد اتجاهات وقيم إيجابية لا غنى عنها لأي مشروع وطني يقوم على الممانعة والمقاومة، فهذه القيم وتلك الاتجاهات والتوجيهات تحصِّن الإنسان نفسيًا وعقليًا ضد العناصر التي تعمل على تآكل روحه وتداعي قدرته على الصمود، وهي تسهم بطريقة جلية وملموسة في صنع القرار العام الذي يحكم نظرة الإنسان إلى الأمور، وحكمه على المواقف والأحداث والشخصيات والأفكار، وكلما كان هذا الإطار متماسكًا منيعًا تضاعفت إمكانيات التصدي للآخر المعادي، سواء كان

العدو متجسدًا في جيوش وعروش، أو متمثلاً في أفكار ورؤى، أو متضمنًا استراتيجيات وخططًا.

لابد أن نعي جميعًا أن الكرامة مبدأ في الحياة، وهو لا يتجزأ ولا يختلف، كما نرى في هذا الزمن، فمنهم من يعتقد أن الكرامة هي المال مهما كانت طريقة الحصول عليه، ومنهم من يعتقد أن الكرامة هي السلطة، كما يظن بعض السياسيين، ومنهم من يظن أن الكرامة في أن يكون له رأي دون معارض أو مختلف، أو حتى رأي آخر، كما هو الحال لدى العرب كلهم، وغيرهم الكثير.

كما أن الكرامة الإنسانية لا تقتصر فقط على توفير كل ما يحتاجه الإنسان من غذاء ودواء وإيواء وترفيه، لأنه ليس هذا بالمضمون الفعلي لهذا المصطلح ولكن حمايته من كل أنواع الفقر والإذلال، وإقرار جميع حقوقه السياسية والاجتماعية والروحية، وكل ما يجعله يعيش عزيز النفس مرفوع الرأس، لأن كرامة الإنسان لا تقدر بثمن ولا تباع أو تشترى، لأننا لا نعيش في زمن العبودية وهذا ما حرَّمته الأديان السماوية والمذاهب الفلسفية المنصفة والقوانين، والقواعد الدولية الحديثة والمعاصرة لحقوق الإنسان، كما أن الإنسان وتنميطه في ظل توحش الرأسمالية، وضخامة حجمها ومحاولة بيع أي شيء وأي قيمة تجرح الكرامة الإنسانية.

لذا يواجه هنا الطريق الخاطئ صدًا وردًا ونقدًا وجرحًا، من قِبل كل الأديان التي تدافع عن كرامة البشر والجماعات المناهضة للعولمة، والفلسفات الإنسانية، والنزعات الروحانية، التي راحت تنتفض ضد بيع الإنسان، أو تحويله إلى آلة أو مجرد رقم في حساب لا ينتهي.

ومازالت البشرية تعاني من انتهاك الكرامة التي تفرضها عليها ظروف حياة قاسية مليئة بالنازية أحيانًا، وأحيانًا أخرى بالفاشية، لكن ما على البشر سوى أن يكافح على الدوام من أجل إنهاء هذه المشاعر، وتلك السلوكيات البغيضة، لأن الكرامة هي شيء عزيز يولد من الإنسان لأن الله كرَّم البشر على باقي المخلوقات، وما على هذا الإنسان إلا المحافظة عليها.

## ▪ الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم :

وردت الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم.. يقول تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً}. **(سورة الإسراء: الآية ٧٠)**

رب العزة جل وعلا الخالق العظيم لهذا الكون وللإنسان، قرر في كتابه العزيز أنه كرَّم بني آدم عندما خلق آدم، ومعه ذريته، فهو تعالى كرمهم، فكيف كان هذا التكريم؟ مظاهر هذا التكريم لآدم وذريته كثيرة، ومتنوعة، وأول هذه المظاهر وأشدها تأثيرًا على حياة الإنسان هو: الاستخلاف في الأرض، فقد جعله الله خليفة في الأرض لمن سبقه من مخلوقات لحكمة أرادها ويعلمها الله، وهذا عكس ما هو معتقد من أن الإنسان خليفة الله في الأرض فقط، حيث تأتي هذه المظاهر في أنه أعطاه مطلق الحرية في الإيمان بالله أو الكفر به، وأمهله فرصة الحياة على الأرض لكي يقرر بنفسه مصيره في هذا الشأن العظيم، حيث لم يجبر الإنسان على الإيمان أو الكفر، بل أعطى الفرصة لكي يبرهن على الطريق الذي اختاره لنفسه.

ثالث هذه المظاهر أن الله سبحانه وتعالى سخر للإنسانية البر، والبر بلغة القرآن العظيم، هو يشمل اليابسة وما فوقها من الأجواء. هذا التسخير من الله للأرض اليابسة، والغلاف الجوي لحمل الإنسان في مناكبها وطرقاتها وسهولها، ووديانها وجبالها، وتسخير الأرض يعني جريانها في فلكها الذي تسبح فيه بالفضاء ضمن الأجرام السماوية في نظام محكم لا يتغير فسبحان الرحمن المسيطر على الكون كله!.

يقول سبحانه وتعالى : { وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ } . **(سورة إبراهيم: الآية ٣٣)**

ويقول تعالى في سورة النحل: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . **(سورة النحل: الآية ١٢)**

ومن مظاهر التكريم تسخير الأرض بتعاقب الليل والنهار للإنسان وتسخير ما عليها من أنعام كالخيول والإبل، وهذه نعم من الله تعالى للإنسان وتكريم له.

رابع مظاهر تكريم الله للإنسان أن سخَّر له البحر وما فيه من نِعم ومنافع، فسخر الأنهار، وهي أول ما اقتحمه الإنسان من عالم الماء ثم البحار والمحيطات، { وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } . **(سورة النحل: الآية ١٤)**

خامس مظاهر الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم، هو الرزق الطيب من نبات وحيوان وتحمله الأنعام من بلد إلى بلد هو وأثقاله، ويتغذى على لحومها ويلبس أوبارها وأصوافها وجلودها فتنقذ حياته العزيزة بانتفاعه بهذه النعم الإلهية الكثيرة.

سادسًا: من أهم مظاهر هذا التكريم تفضيل الله تعالى للإنسان على كثير من الخلق وتختتم الآية القرآنية العظيمة، بأن الله فضل بنى آدم على الكثير من مخلوقات الله تفضيلا، قال الله تعالى في كتابه الحكيم: { وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }

**(سورة الإسراء: الآية ٧٠)**

مخلوقات الله تعالى، لا نستطيع أن نحصيها عدا، ومع ذلك فقد فضلنا الله تعالى على كثير من هذه المخلوقات. إذ قال تعالى : في الآية الكريمة { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } . **(سورة الحجرات: الآية ١٣)**

فهذا خطاب للناس جميعًا، فيه تقرير تام لمساواة الرجل بالمرأة، كما جاء في الآية الكريمة، خلقناكم من (ذكر وأنثى). فالمجتمع مكرم بعنصريه دون تمييز عنصر على الآخر، وهذه هي رسالة القرآن الخالدة، آخر رسالات السماء فيها حقوق للمرأة، ومساواتها بقرينها الرجل، والخطاب به ندية... ثم تأتي الآية الكريمة، وتقر الكرامة لكل شعوب الأرض وأعراقها أي قبائلها، وتقر تقوى الله، كما تقر الآية القرآنية الكريمة أن الكرامة الإنسانية تزداد قدرًا وعلوًا عند الله وعند المؤمنين، فالأكثر تنفيذًا وتقديسًا لأوامر الله تعالى في القرآن وما سبقه من رسالات

سماوية هم المتقون. فتقوى الله تعني تقديس الله تعالى بلا منازع ولا شريك في ملكه وحكمه وتشريعه للبشرية، وتعني أيضًا التعاون على البر وعلى المعروف والتسامح وإعمار الأرض والإخاء بين أمم الإنسانية وتبادل المعارف والعلوم بين الشعوب والأجناس، إذن إنها كرامة عليا للناس يعطيها الله لمن يستحقها، ويأخذ بالأسباب للوصول إليها.

وهكذا يقرر ويؤكد الكتاب العزيز على الكرامة الإنسانية للبشر جميعًا، وكانت الرسالة القرآنية لجميع الناس تحث على المساواة بين الذكر والأنثى، وتحث على المعرفة (اقرأ) وعلى التعارف والتواصل (لتعارفوا). كما تحث على التعاون الدولي لنشر السلام والخير والبر ونبذ الحروب والصراعات: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }. **(سورة المائدة: الآية ٢)**

ومن ينأى بنفسه عن هذه القيم العليا والمثل الطيبة من الأفراد، ومن الأمم فقد نأى وبَعُد ذلك عن الكرامة التي وصفها الله تعالى: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } **(سورة الحجرات: الآية ١٣)**.

وأول وأخطر من وعى وأدرك هذا النوع من التكريم للإنسان من المخلوقات هو "ابليس" الملعون فلقد فهم أنه عندما أمره الله تعالى بالسجود لآدم أن الله تعالى قد كرَّم آدم وفضله عليه وعلى

الكثير من الخلق تفضيلاً، وهذا أثار غيرة وحسد وتكبر الشيطان، وقال محاورًا رب العزة جل وعلا يجادله في تكريمه لآدم، وفي هذا الموقف، يقول تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً . قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَـذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً } **(سورة الإسراء: الآيتان ٦١-٦٢).**

هكذا قرَّر الله تعالى الكرامة والتفضيل للإنسان، وأدرك الشيطان هذا، فهل أدرك الإنسان حقيقة تكريم الله تعالى له كما جاء به القرآن الكريم ؟.